## حوار مع صاحب « الزوبعة »

# محمود دياب وعالمه القلق

● في المسابقة الدولية الاولى للتأليف للمسرح العربي التي عقدتها الهيئة العالمية للمسرح التابعة لليونسكو .. فازت مسرحية « الزوبعة » التي كتبها محمود دياب بالجائزة الاولى لتترجم المسرحية بعد ذلك الى عدة لغات ولتعرض في مسرح الامم بباريس كنموذج للمسرح المصري الحديث .. وهذا لقاء حول « الزوبعة » وعالم صاحبها محمود دياب ..

● من اين بدأ فنك .. ما منابعه .. وكيف تم هذا عبر سنوات التكوين التي أعطتنا في النهاية محمود دياب الكاتب المسرحي ؟

ـ من الصعب ان أحدد متى بدأت أحس بحاجتي لان امسك قلما وأكتب شيئا لاطلع الاخرين عليه .. فقد حدث ذلك وانا صغير .. ولا أذكر انه حدث بغتة ، فلا بد أن هذا الاحساس نما معي بالتدريج .. قد تكون البداية قصيدة قرأتها في كتاب المطالعة الانجليزية في بداية المرحلة الثانوية .. « ماري اعيدي القطيع الى البيت » .. لقد هزتني هذه القصيدة ودفعتني لان اترجمها ثم لان احاول الاستفادة منها موضوعا لقصة رومانسية صغيرة .. وقد يكون ادائي لدور الجزار في احدى مسرحيات نجيب الريحاني مع الفرقة التمثيلية للمدرسة الابتدائية قبل ذلك هو البداية .. ولكن المؤكد انني ابتداء من السنوات الاخيرة بالمدرسة الابتدائية كنت أقرأ بنهم .. فلم أكن أكف عن البحث عن الكتاب من أقل الترجمات شأنا الى الشكسبيريات ، ووقعت في يدي رواية لكاتب هنغاري اسمها « صغيري » كانت أمتع ما قرأت حتى ذلك الحين فظللت أقرأها يوميا ولمدة أسبوع .. وتملكتني رغبة مذيبة في أن أكتب شيئا في مثل رقة هذه الرواية فحاولت مرات أن اخترع أحداث قصة .. أية قصة ( !! ) ولكنني أخفقت .. غير اني وفقت الى كتابة الشعر .

كانت مدرستنا الثانوية في مدينة الاسماعيلية لا تكف عن المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني وكنت ـ لحكمة ما ـ اجدني دائما على رأس هذه المظاهرات ولم اكن احسن الخطابة فلجأت الى الشعر أودعه ما لدي من حماس .

واشتركت كممثل بالفرقة التمثيلية للمدرسة الثانوية فكنت أعد بمعاونة الاستاذ المشرف على الفرقة اسكتشات ضاحكة نؤديها في حفلات المدرسة حتى اذا ما كنت في منتصف المرحلة الثانوية كتبت مسرحية من اربعة فصول باسم « بداية النهاية » وعرضتها على ناظر المدرسة فأحالها الى مدرس أول اللغة العربية الذي كتب عنها تقريرا ما زلت احتفظ به حتى اليوم .. وفي هذا التقرير قال الاستاذ ان هذه المسرحية لا تعني شيئا سوى ان التلميذ الذي كتبها يملك استعدادا وموهبة بحاجة الى رعاية وتوجيه .

ونجحت محاولاتي في السنة الاخيرة من المدرسة الثانوية لان اكتب مجموعة من القصص القصيرة .. لا أذكر منها الان سوى الشعور الحزين الذي كان يستغرقني وأنا اكتبها .. فقد كانت كلها قصصا باكية .. ثم سعادتي وأنا أقرأها على اخوتي في الصباح .

كنت أحب مسرحيات يوسف وهبي .. الفاجعة .. كان بعضها منشورا في طبعات شعبية بالعامية مثل « أولاد الفقراء » ومعظمها يتحول الى افلام سينمائية فلما كنت أقلده وأنا امثل على خشبة المسرح حاولت ان أقلده أيضا فيما أخترعه من قصص ميلودراميه لم تكن تبكي سواي .. وكانت ترهقني مسرحيات توفيق الحكيم .

كانت مرحلة مضطربة تختلط فيها القراءات والمفاهيم والتصورات .. كان يصاحبني في تلك المرحلة شعور دائم بالابتئاس واحساس تراجيدي بأنني فقير .. وكان الكثيرون من زملائي بالمدرسة من أسر تحقق دخولا كبيرة من تعاملها مع الانجليز أو من علاقتها بشركة قناة السويس وكان ذلك ينعكس على مظهرهم الذي كان يختلف كثيرا عن مظهري بطبيعة الحال .. فدفعني ذلك اولا لان أكون قليل العلاقات بالمدرسة وثانيا لان أصر على أن أعلن وجودي وأن أحقق ذاتي في محيطها فكانت وسيلتي هي الشعر والمسرح والقصة ، ولما لم يكن يستمع الى ما اكتب الا عدد قليل من الملتصقين بي فقد كان لا بد من ملاحقة الباقين بانتاجي في مجلة حائط أنشأتها وكنت أحررها من أول سطر الى اخر سطر فيها .

أرقتني « المعذبون في الارض » لطه حسين عدة ليال .. ولما قرأت « الايام » شعرت انني أحب أقاربي الريفيين وازداد طموحي اشتعالا حيث خيل لي أني عثرت نهائيا على اسلوب اكتب به .. وكتبت قصة بعنوان « المفسدون في الارض » وأحداثها تجري في الريف .

وبعد ان التحقت بكلية الحقوق أمضيت عطلتين صيفيتين مع احد المقاولين بالاسماعيلية كملاحظ عمال فعشت ثلاثة شهور مع حوالي خمسمائة من عمال التراحيل كانوا يعملون في احدى عمليات توسيع قناة السويس بين القنطرة وبور سعيد .. وكانت هذه التجربة هي أول تجربة كاملة يتكشف احساسي بها في قصة اقتنعت بعدها بأني ـ أنا أيضا ـ اكتب قصة .

وقد أعدت صياغة هذه القصة بعد كتابتها الاولى بثمانية أعوام وحصلت بها على جائزة نادي القصة سنة ١٩٦١ وهي قصة « خطاب من قبلي » وكانت أول عمل لي يخرج بطريقة رسمية الى الناس .

● بدأت كاتبا للقصة القصيرة فالرواية وانتهيت الى المسرح.. فكيف تم عندك هذا التحول ذاتيا وموضوعيا ؟

ـ ان الكتابة للمسرح أصعب الوان الكتابة ولكنها أروعها على الاطلاق ، فلان ترى احلامك تتجسد أمامك على خشبة المسرح ، وان تجلس في صفوف المتفرجين تشهد انفعالاتك وهي تسري من روحك الى الممثل فالى الجمهور وتحقق الاثر الذي تريده في نفوسهم مباشرة وعلى الفور . لان تدفع عشرات من الناس لان يسمعون تتفرغ انت لتلاحظ أثر فنك عليهم ، فهذه هي روعة المسرح .

لقد أحببت المسرح دائما منذ لعبت دور الجزار في مسرحية الريحاني ودربت امكانياتي فيه كتابة وتمثيلا وأنا في المدرسة الثانوية ولكنني انقطعت بعد ذلك عن المسرح لاكتب القصة القصيرة التي وجدتها أقرب الوان الكتابة تناولا وكنت الاحق أصدقائي لاقرأها لهم حتى أحقق لنفسي متعة ملاحظة أثرها الفوري عليهم . فلما كتبت الرواية حرمت نهائيا من التعرف على أثرها على قارئها سطرا سطرا فقد كانت قراءتها للاصدقاء أمرا مستحيلا .. احسست باني أنقطع عن عملي فور الانتهاء منه .. انه ينفصل عني ويبتعد ولا أدري الى أين يذهب .

وفي غمرة الحماس للمسرح الذي بدأ بعد ١٩٦٠ جرفني تيار المسرح من جديد فكتبت أولى مسرحياتي القصيرة التي فازت بجائزة مؤسسة المسرح سنة ١٩٦٢ وقدر لها أن تحيا على خشبة المسرح ثلاثين

ليله عشتها جميعا مع جمهورها بكل انفعالاتهم ومشاعرهم سواء أكانت مع المسرحية أو ضدها ولكنها كانت بفعل المسرحية على أية حال .. لقد تحقق لي في النهاية الامتزاج الذي أريده بالجمهور .

● كيف تفهم المسرح .. ما تصورك له ؟

ـ المسرح وسيلة فنية يعرض الكاتب من خلالها تصوره الحر للحياة في مجتمعه بطريقة تؤثر في هذه الحياة بقصد تغييرها لما هو أفضل من وجهة نظره .. انه صياغة شاعرية مدركة لحياة الناس يتعرف فيها المتفرج على نفسه في الحاضر الذي يعيشه وتدفعه الى التفكير في المستقبل .

ان المسرح الذي لا يرتبط بحياة الناس فلا يجيب على تساؤلاتهم .. او لا يستثير لديهم التساؤلات سيظل بعيدا عنهم مهما كانت قيمته الفنية المجردة .. وعلى المسرح ان يكون قاسيا في مواجهة جمهوره لنفسه وبقدر ما يكون حب الكاتب لجمهوره تكون قسوته عليه .. ان قيمة العمل المسرحي ـ في رأيي ـ تكمن فيما تثيره لدى المتفرج من خوف وشفقة ـ ليس على مصائر الابطال فحسب ـ بل على نفسه ومجتمعه .

● وكيف تربط بين هذا المفهوم .. وبين مسرحك الذي رأيناه.. ثم كيف تربط بينه وبين المجتمع ؟

ـ في كل الاعمال المسرحية التي قدمت لن تستطيع ان تلمس هذا المفهوم ابتداء من « البيت القديم » وانتهاء « بالبيانو » ففي كل هذه الاعمال يواجه ابطالها بأنفسهم .. وهم يصدمون بما يكتشفونه من حقيقتها .. ثم هم يصارعون من أجل تغيير واقعهم المغضوب عليه وهو بشكل او بآخر واقع المتفرج نفسه .. وابطال اعمالي يصارعون دائما من اجل ان يحققوا احترام مجتمعهم لهم .. والعمل ككل يسعى لان يحقق المجتمع نظرة احترام الى نفسه .

● من هم الكتاب الذين تأثرت بهم ودفعوك الى المسرح .. وكيف نجد هذا التأثير في اعمالك المختلفة ؟

ـ ان كل مسرحية قرأتها او شاهدتها أيا كان مؤلفها وايا كان مستواها الفني لا بد وان تكون قد تركت أثرا في نفسي سواء بالسلب او بالايجاب .. وعلى الرغم مما كنت القاه في سن مبكرة من تعب في فهم مسرح توفيق الحكيم فلا شك ان مجموعة مسرحياته القصيرة تركت اثرها عندي .. وكذلك مسرحية « اهل الكهف » التي قدر لي ان افهمها حين كانت من المقررات المدرسية .. ولم تعجبني مسرحية « الصفقة » وكانت من بين الاسباب التي دفعتني الى ان اتجه الى الريف لاعيد تقديم الفلاح المصري كما عرفته وكما أراه .

ان تشيكوف كان صاحب اكبر اثر علي فيما كتبت من مسرحيات . اعجبتني « الخال فانيا » عندما قرأتها واذهلتني عندما شاهدتها على خشبة المسرح فأعدت قراءة كل ما ترجم من اعماله .. عرفت فيه كيف تتحول احداث الحياة اليومية في المسرح الى تصور شعري فني غني بالايقاع والصور الموحية . تعلمت منه ان شخصية الانسان العادي من الممكن ان تصبح شخصية لتراجيديا راقية لو احسن اختيار الزاوية التي ينظر اليه منها وتوافر الخيال الذي يمنح هذه الشخصية العمق والابعاد .

وكان براندللو دائما قريبا الى نفسي وقد شجعتني اعماله على محاولة البحث عن شكل مسرحي مصري جديد في « ليالي الحصاد » .

● حين بدأت الكتابة للمسرح هل كانت لديك فكرة عن هذا الكاتب الذي تريده .. هل تصورت نفسك كما انت الآن .. هل رأيت نفسك يوما كاتبا مسرحيا ؟

ـ عندما كتبت اولى مسرحياتي القصيرة « المعجزة » لم اكن قد عرفت بعد ماذا أريد على وجه التحديد .. كان المستقبل يبدو لي كتلة غامضة مضببة ، وكل ما علي هو ان اقتحمها بكل ما لدي من امكانيات ، فلما كتبت « البيت القديم » بدأت تتضح معالم الطريق الذي بات علي ان أسلكه .. ولكني لم اكن واثقا من اي شيء فقد كنت لا أزال احس

محمود دياب

***

برهبة امام المسرح .. فترددت في تقديم هذه المسرحية لاحد المسارح ، ولما عرفت طريقها الى خشبة المسرح قوبلت المسرحية بفتور من جانب النقاد وحظيت بنجاح محدود لدى الجمهور ، ولكني بالرغم من ذلك ـ ومن متابعتي لعروض المسرحية ـ استطعت ان اكتشف ما أريده بصورة بالغة التحديد .. اعتقدت ساعتها انها صورة نهائية .. فكتبت مسرحية « الزوبعة » وتنبهت بعد ان انتهيت منها الى ان الصورة التي حددتها لما اريده افرغتها في هذه المسرحية .. وكان لا بد من ان اعيد البحث عما أريد .. ولكني كنت قد ارتبطت بالريف على أي حال .

ان كل عمل انتهي منه أبدأ بعده في تلمس الطريق من جديد وانا دائما احس بعدم الرضا عن الاعمال التي انتهي منها وكلما بدأت عملا جديدا أحسست بالرهبة التي احسستها امام عملي الاول فأنا اكتب « عملا اول » في كل مرة .. لذلك فأنا اليوم لا اكاد اتصور ما سأكون عليه بعد سنة . كل ما اعرفه هو انني لا بد ان اكتب شيئا افضل مما كتبت حتى اليوم .

● ما هي اللحظة التي ايقنت عندها انك لن تكون شيئا الا كاتبا مسرحيا والى النهاية ؟

ـ انها اللحظة الرائعة التي رفع فيها الستار عن مسرحية « البيت القديم » بمسرح كوتة بالاسكندرية ليلة الافتتاح .. لقد كنت انتفض.. احسست بنشوة دفعت بالدموع الى عيني فلما افقت بعد اسدال الستار على الفصل الاول تنبهت الى ان جريدة المساء التي كنت احملها في يدي قد تحولت الى قصاصات صغيرة .. وتنبهت الى ان قرارا استقر في نفسي بأن اكرس حياتي للمسرح .

● ما مذهبك الفني ؟

ـ من الخطأ ان استعير قالبا جاهزا اصب نفسي فيه .. انني أفكر .. ابحث عن الموضوع .. اترك الموضوع ينتقي الشكل المناسب له ثم اكتب فأنا عادة لا اشغل ذهني بعملية التصنيف وانما أحاول ان اجد نفسي في كل عملية خلق جديدة .

● ما هو فكرك السياسي ؟

ـ انه الفكر السياسي لكل انسان عربي حر يؤمن بآمال شعبه في المستقبل .

● تدور احداث مسرحياتك في زمن مطلق ، فهل يعني هذا هروبا من اللحظة التاريخية المعاصرة والقضايا الملحة التي تفرض نفسها على الفنان ؟

ـ من الطبيعي انه اذا لم يرد للمسرحية زمن معين لاحداثها فهي تجري اذن في الزمن الذي كتبت وتعرض فيه .. وهي بالتالي تعكس حياة الانسان المصري في هذه اللحظة بكل ما تحمل من قضايا ومؤثرات وذلك بقدر صدق المسرحية في التعبير عن واقع هذا الانسان .. ولا اظنك تعني بسؤالك اني مطالب بعرض ما يلامس اللحظة التاريخية المعاصرة من قضايا بصورة تسجيلية مباشرة والا فما الفرق بين المؤرخ والفنان ؟

● لماذا كانت القرية هي موضوع اغلب مسرحياتك ؟

ـ عندما نشبت الحرب العالمية الثانية وكنت في السابعة هاجرت اسرتي من الاسماعيلية الى الريف .. ومكثنا زهاء السنتين في قرية متطرفة من قرى الشرقية بها عدد كبير من الاقارب .. فلما عدنا الى الاسماعيلية وعدت لم انقطع عن زيارة هذه القرية حتى اليوم فقد احببتها منذ طفولتي كما احببت اهلها .. لقد صدمتني صورة الفلاح التي تقدم في السينما المصرية وعلى خشبة المسرح .. كنت ارى نموذجا لا انسانيا للفلاح حتى ولو كان العمل الفني المقدم يتعاطف مع قضيته .. فلما ظهرت مسرحية « الصفقة » لتوفيق الحكيم ولو انها كانت اكثر الاعمال المسرحية المصرية اقترابا من الريف الا ان الفلاح فيها كان انسانا مفرغا من الداخل لا اعماق له .. فأحسست بأني مكلف بأن اقدم للمسرح « الفلاح الانسان » الذي اعرفه .

ان لغة الريف غنية بالشعر وحياته ثرية بالموضوعات البكر . واهله ـ وهم يمثلون غالبية شعبنا ـ يحملون طابع هذا الشعب في اصالته التي لم يلحقها التزييف .. وذلك التزييف الذي تمتلىء به المدينة ويسيطر للاسف على افلامنا ومسرحياتنا .. ولهذا كتبت وما زلت اكتب عن القرية .

● هل تستلهم الواقع وشخوصه الحية احداث اعمالك الفنية ؟

ـ كثيرون من شخوص مسرحياتي لهم اصل يعيش في الواقع .. الشيخ يونس وابنته حليمة وحسن الاعرج في « الزوبعة » .. وشخصية الاسير الالماني ثم الموقف نفسه في مسرحية « الغريب » .. وعلى الكتف والبكري والشيخ حجازي في « ليالي الحصاد » .. وافراد الاسرتين جميعا في « البيت القديم » .. انهم جميعا اشخاص اعرفهم والتقيت بهم ولكنهم في واقعهم قد يقتربون او يبتعدون عن تصويري لهم في المسرحية .. وجميع الاشخاص في اية مسرحية لي لهم اصل في الواقع .. ولكن العمل الفني يهضمهم ويستخلص منهم مادة جديدة .. باختصار ان المصدر الاول لمسرحي هو الواقع الذي اعيشه واتأثر به .

● ما تأثير شخصيتك وتكوينك الذاتي على مسرحك ؟

ـ مسرحياتي تتميز بحوارها العصبي .. واحداثها السريعة العصبية ايضا .. ولا شك ان طبيعتي الخاصة هي التي تطبعها بهذا الطابع .. وقد اثرت دراستي القانونية وعملي في القضاء على كتابتي للمسرح .. وذلك من حيث التدقيق في اختيار الاحداث والتركيز الشديد في العبارة المنتقاة للحوار بين الابطال واستبعاد التفاصيل غير المؤثرة في الحدث الاساسي للمسرحية .

● عن اي شيء تبحث .. وعم يبحث ابطالك ؟

ـ تؤرقني الحقيقة .. أبحث عنها .. ليست الحقيقة المطلقة ولكن الحقيقة الانسانية التي تكمن وراء فشل الجماعة وتهدد مستقبلهم .. وانا آخذ بيد ابطالي ليكتشفوا حقيقة انفسهم ثم ليكتشفوا حقيقة مجتمعهم .. ثم انا اتركهم يعانون من اجل ان يصيروا الى حقيقة جديدة اكثر مدعاة للامل .. ان ابطالي في الغالب يقسون على انفسهم ويصدرون عليها الاحكام طمعا في الشعور النهائي باحترامهم لانفسهم واحترام مجتمعهم لهم .

● لماذا تكتب .. ولمن ؟

ـ انني اكتب لان هناك ما يستحق الكتابة عنه .. وما يستحق الكتابة من اجله .. وجمهوري الذي اكتب له هو كل من يفهم لغتي وطموحي ان يصل ما اكتب الى الانسان أيا كانت لغته .

● يكاد الحدث السياسي بحكم الحركة السريعة للمجتمع بعد الثورة ان يفرض نفسه على الحدث الفني .. ولكننا نلحظ غياب الحدث السياسي في مسرحك .. ما معنى هذا .. ما رأيك ؟

ـ مما لا شك فيه ان الاحداث السياسية بعد الثورة تميزت بالتلاحق وبسرعة الحركة .. ومن ثم أصبح من العسير على المسرح ان يلاحق هذه الاحداث بنفس السرعة التي تلاحقها بها اجهزة التصوير الاعلامية .. ومن ناحية اخرى فاننا ونحن نتحدث عن المسرح لا بد وان نستبعد فكرة متابعة المسرح للاحداث السياسية كأداة تسجيل مصمتة .. فالمسرح فن والفن تصور موضوعه الانسان .. وحياة الانسان حتى وهي تجري في مجراها اليومي المعتاد تعكس الاحداث السياسية كقوة مؤثرة تأخذ من هذه الحياة وتعطيها . واذا كان على المسرح الا ينفصل عن المجتمع ليدور في فراغ فان عليه لا ان يسجل الاحداث السياسية وانما عليه ان يسهم في صياغة حياة الانسان العربي ليكون قدرا لهذه الاحداث لا ان يخضع لها وكأنما هي القدر .. وبهذا لا يكون المسرح تابعا للحدث السياسي بل صانعا له .

● هل تجد نفسك في ابطال مسرحياتك .. او في بعض هؤلاء الابطال ؟

ـ لا شك اني اوجد في كل مسرحياتي الا انني لا اكاد ابرز بنفس الدرجة في كل المسرحيات .. فاذا كان الفنان في مسرحية « البيانو » يكاد يحمل ملامحي فانني احس احيانا وكأنني حسين ابو شامة الذي لا يظهر في مسرحية « الزوبعة » ولعلي اكون على الكتف الذي فقد حريته بتعلقه بصنيوره في « ليالي الحصاد » ولكن المؤكد ان احمد المهندس في « البيت القديم » كثيرا ما كان يتحدث بصوتي .

● تتكرر عندك بعض الشخصيات مثل الشيخ يونس وحليمة .. الخ فما سبب ذلك ؟

ـ اذا كان من الملامح الاساسية للقرية المصرية بيوتها السوداء المتساندة فان من معالمها الاصيلة ايضا خفرها والشاب الذي يفك الحظ والشيخ الذي يتعهد اهل القرية بالموعظة ويحمل فيها لواء الدين وغالبا ما يكون ضريرا .. لذلك فان من هذه الشخصيات من يتكرر في مسرحياتي الريفية .. أما عن الشيخ يونس بالذات وابنته حليمة فهما شخصيات التقيت بها في الواقع وكان بيني وبين الشيخ يونس حب وألفة استمرا سنوات .. وقد ظل هذا الرجل يمثل في قريته قوة روحية كبيرة على أهلها حتى مات في ديسمبر ١٩٦٧ أثناء عرض « الزوبعة » .. لذلك فقد ظهرت حليمة وحيدة في مسرحية « الضيوف » .

● هل تصورت يوما ان تحقق « الزوبعة » كل هذا النجاح الذي حققته ... وهل تعتقدان نجاحها فتح امامك الطريق الى الجنة ؟

ـ عندما حضرت لي فكرة « الزوبعة » .. وتجمعت في ذهني خيوطها انتابني احساس هائل بأنني مقبل على عمل كبير وتوقعت له نجاحا جماهيريا وتقديرا .. ولكنني في واقع الامر لم اكن لاتصور ما حققته بالفعل .. وظللت وانا اكتبها احمل نفس الحماس حتى انتهيت منها . وفجأة مات الحماس ولم أعد اتوقع لها شيئا من النجاح ومن ثم فقد كان نجاحها عندما قدمت في مهرجان المحافظات عام ١٩٦٦ مفاجأة لي .

وقد خلف نجاح هذه المسرحية في نفسي من الخوف اكثر مما سبب لي من السعادة .. لقد احسست بعدها بأنني مكلف بأن اتابع الطريق بمزيد من القوة وان لا أقف عند « الزوبعة » .. بل لا بد من اضافة اعمال جديدة تتفوق عليها حتى لا أتجمد في المكان الذي

صنعته لي .. وما زال هذا الخوف يتملكني كلما فكرت في الاقدام على عمل جديد .

● هل تعتبر الى حد ما كاتبا صنعته المسابقات ؟

ـ ان المسابقات لم تصنعني بل فتحت الطريق امامي .. كانت جواز المرور لي الى عالم الفن والادب .. والا فكيف كنت أمر وليس لي من سلاح سوى فني ؟

● الى اي حد ساهم النقد في صنعك ؟

ـ لقد كان للنقد اكبر الاثر علي ، فعندما استقبل النقاد « البيت القديم » بفتور احزنني ذلك ودفعني لموقف عناد فقررت ان افجاهم بعمل يثير اهتمامهم ويعوضني عن موقفهم في « البيت القديم » فكانت « الزوبعة » .. انني اقرأ النقد الذي يتعرض لاعمالي باهتمام واستفيد منه .. ولا يضايقني التجريح الفني للعمل وانما تؤلمني الكلمات الجارحة التي لا يستدعيها النقد الفني للعمل .. وبقدر ما أفادني عدد كبير من النقاد كاد يدفعني لليأس بعض هؤلاء الذين خلعوا على انفسهم صفة النقد ولم يلتزموا بالشرف الواجب لمهنة النقد فاخضعوا اقلامهم لاعتبارات ومشاعر شخصية لا علاقة لها بالعمل الفني واحمد الله ان هذه الفئة هي بحكم تكوينها فئة قليلة لا اهمية لها .

● اين تضع « الزوبعة » واين تضع « ليالي الحصاد » من مجموع اعمالك ؟

ـ ان « الزوبعة » هي قمة اعمالي من ناحية و « ليالي الحصاد » تتبادلها القمة من ناحية اخرى . « فالزوبعة » استطاعت ان تصل الى كافة مستويات الجمهور من المثقف الى الفلاح وحققت نجاحا جماهيريا عريضا واجتازت بنجاح تجربة رائدة اذ قدمت لآلاف الفلاحين في الفيطان المكشوفة .. أما « ليالي الحصاد » فانها لم تحقق نفس النجاح الجماهيري ولكنني اعتبرها افضل اعمالي من الوجهة الفنية ففي هذه المسرحية استطعت ان أضع يدي على بناء مسرحي خاص بي .. وفي نفس الوقت وضعت يدي على شكل مسرحي مصري .. لقد تبلورت شخصيتي الفنية في هذا العمل .

● هل تعتقد انك قدمت الفلاح المصري كما يجب ان يقدم على خشبة المسرح ؟

ـ اعتقد انني فعلت .. يؤكد هذا آلاف الفلاحين الذين شاهدوا « الزوبعة » وانفعلوا بها وتفاعلوا مع ابطالها .. وفي « ليالي الحصاد» وصل الفلاح في تصوري الى صورة انسانية جعلت منه شخصية تراجيدية متكاملة .. وقد كانت « الزوبعة » بداية لخط جديد بدأ يختطه عدد من الكتاب الجدد في فهمهم وتمثلهم لشخصية الفلاح .. كان الفلاح المصري يقدم في السينما وعلى المسرح كيانا ابله يستغل في السخرية وقد حاولت هدم هذه الصورة الكاريكاتورية المقيتة وتقديم الفلاح الانسان .

● ما الفرق بين مسرحك ومسرح سعد الدين وهبه ثم بينه وبين مسرح شوقي عبد الحكيم وجميعكم يكتب عن القرية والفلاح ؟

ـ الفرق بين مسرحي ومسرح سعد الدين وهبه ان مسرحي الريفي ينبع من داخل نفس الفلاح اما سعد الدين وهبه فيكتب عنه من خارجه .. انني اقدم مسرحا من خلال حياة القرية ولها . اما سعد وهبه فيقدم مسرحا عنها .. وشوقي عبد الحكيم يستمد مسرحه من حكايات الفلاحين لا من حياتهم وهو يكتب عنهم وليس لهم لما في مسرحه من تجريب قد يجنح الى الغموض .

● لك تجربة في ليالي الحصاد مع السامر ، .. ما رأيك في فكرة السامر الشعبي شكلا لمسرحنا وفرفور بطلا له ؟

ـ لقد حاول يوسف ادريس ان يثبت في فرافيره ان هناك مسرحا مصريا وحاولت انا ايضا من « ليالي الحصاد » .. ولكن التجربتين لا تقطعان بأن هناك شكلا للمسرح المصري استقر ويمكن ان يستمر .. لا بد من مزيد من المحاولات الملحة حتى يمكن القطع برأي نهائي في هذا الموضوع .

● اين السر في نجاح « الزوبعة » جماهيريا وعدم نجاح « ليالي الحصاد » بنفس الدرجة ؟

ـ اما عن نجاح « الزوبعة » فقد تحدثنا عنه . واما عن عدم نجاح « ليالي الحصاد » لدى الجمهور فمرجعه الى انها كانت تحمل تجربة مسرحية جديدة لم يتعودها الجمهور فضلا عن ان البناء الفني المركب ساهم في تشكيل صعوبة هذا العمل .. ومع هذا فلا بد وان لا ننسى الاعتبارات الخارجية التي ادت الى فقدان هذه المسرحية للجمهور منها ظروف تقديمها في مسرح الزمالك المهجور الذي افتتح بها وعدم الاستعانة بالاسماء الهامة التي تعودها الجمهور .

● الى اي حد اسهمت في المسرح المصري ؟.

ـ من ناحية الكم اسهمت في المسرح المصري بست مسرحيات منها ثلاث مسرحيات طويلة وثلاث من فصل واحد .. اما من ناحية الكيف فاعتقد انني فتحت امام الفلاح المصري طريقا صحيحا الى خشبة المسرح .. واضفت محاولة جادة في البحث عن شكل مسرحي مصري في « ليالي الحصاد » .

● يقال انك موهوب اكثر منك دارسا .. ما مدى صحة هذا الرأي .. ثم هل تستفيد من النظريات والمذاهب المسرحية .. أم ترفضها .. وماذا منها في مسرحك ؟

ـ ان صح ما يقال فان فني لن يخسر شيئا ، فالموهبة ضرورية اولا وعلى قدر الموهبة يكون الفن .. ومع ذلك فان ما يقولونه من انني موهوب اكثر مني دارسا لا ارى فيه ما يهون من دراستي بقدر ما اراه يكبر موهبتي .. وانا اشكرهم .. وعلى أي حال فان انتاجي الفني المحدود يؤكد انني أقرأ اكثر مما اكتب ولا اعتقد انني سأغير خطتي هذه .. اما عن النظريات والمذاهب والمدارس المسرحية فلا ريب انني استفدت منها في تعرفي على المسرح وفهمي له وانا لا ارفضها ولكنني وانا اكتب أحرر نفسي من القوالب ولا اصنف عملي بل اكتبه فالتنظير والتصنيف هما مهمة الناقد لا الفنان الخالق .

● كيف تكتب .. هل تتبع طريقة معينة .. ما هي المراحل التي تمر بها عملية الخلق عندك ؟

ـ اني اجد فكرة المسرحية اولا .. اتحاشى صياغتها كاملة على الورق بل اتركها تنمو في داخلي .. انها تتشكل بالتدريج .. وانا لا استعجلها وتتجسم امامي الشخصيات الرئيسية واحدة بعد الاخرى وقد تعايشني شخصية واحدة لاسابيع طويلة مثلما فعلت شخصية البكري في « ليالي الحصاد » .. ان هذه المرحلة تسبب لي متعة كبيرة وقد تستمر شهورا ولكن المسرحية لا تكتمل في ذهني ابدا وانا لا اتركها تكتمل بل اتعمد ان تظل معالمها النهائية غير واضحة حتى لا تولد وتموت بداخلي .. واقرر ان امسك القلم ولكنني اتردد فانا احس بالخوف امام كل عملية خلق جديدة .. وفجأة وبلا مقدمات اجدني امام مكتبتي أخط اسم المسرحية .. ولا بد ان يكون القلم قلم حبر جاف وان يكون الورق من دشق الصحف .. وافتح الستار واحدد نقطة البداية ثم اترك الكتابة ليوم آخر . انني لا اكون على بينة من المصير النهائي للابطال فانا اغرقهم في صراعهم ثم اتركهم هم يحددون مصائرهم . ان شخصياتي تتصرف بحرية بعد ان تتحدد بصفة نهائية ملامحها الخارجية والداخلية .. انهم ينطقون كلامهم ويخلقون الاحداث . وفي مرحلة الكتابة يستغرقني شعور رائع بانني اكتب اعظم عمل فني .. وفي اللحظة التي انتهي فيها من الكتابة يموت كل حماسي ويحل محله شعور بالفشل ولما كنت قد اعتدت هذا الشعور فانه لم يعد يفزعني .

● كيف كان احساسك بالاحداث الاخيرة في بلادنا ؟

ـ كانت النكسة ضربة هائلة افقدتني صوابي احسست بعدها بالعجز الكامل عن الكتابة .. كانت المشاعر اقوى من ان تسجل او تصور في عمل فني .. لا بد اني سأكتب عن هذه الاحداث بعد ان تزول آثارها .. اما قبل ان تزول فاعتقد ان الشعر هو القادر على التعبير عنها ، اما المسرح فلن يضع الحلول لها .

● الا تفكر في استلهام التاريخ يوما ؟. الا يلهب خيالك نضال

الفلاح المصري وبطولاته في دير موسى ، ونزلة الشوبك ، ويهوت ، ودير وط وغيرها ؟

ـ كثيرا ما جذبني التاريخ ولكنني كنت في كل مـرة ارتد الى حياتنا المعاصرة للبحث عن بطولات فيها .. ان ظروف حياتنا المعاصرة اكثر ثراء واغنى بالمواقف التي تحتاج لمواجهة من الكتاب .. ان شعبنا يعيش اياما يتعرض فيها لضغوط تكاد تسلمه لليأس .. والالتجاء الى بطولات التاريخ قد تدفعه للحماس ولكن شعبنا ـ في ظروفه الراهنة ـ بحاجة الى الوعي بذاته اكثر من حاجته للحماس .

● اختلف عدد كبير من النقاد حول تفسير شخصية صنيورة في « ليالي الحصاد » فمن هي ؟

ـ هل جربت ان تتعلق بشيء يظل ممتنعا عليك حتى اذا ما صار في متناول يدك أحسست بعجزك عن ان تكون كفئا له فلا تكاد تخطو خطوة جديدة نحوه ؟.. ان صنيورة هي طموح القرية وعجزها في نفس الوقت .. أنها تمثل تناقض القرية بين مـا تطمح اليه ومـا تستطيع تحقيقه ومن خلال عجز القرية عن الوصول الى صنيورة تمثلت لهم وهما وتحول البكري ابوها العرفي الى شيطان وحاولوا قتلها ولكن صنيورة لم تقتل وعاشت أملا صعبا للقرية حتى يعيدوا النظر في انفسهم ليصبحوا قادرين عليها .

● ما مقياس البقاء بالنسبة لمسرحك ؟

ـ أملي أن يعيش مسرحي طويلا وقد حاولت ان احقق لـه اسباب البقاء فلم اختر المواضيع الموقوتة التي تستهلكها الاحداث وحاولت ان تكون نظرتي للانسان العربي اكثر شمولا بحيث تبـدو قضيتـه قضية الانسان بوجه عام .. اما هل وفقت ام لم اوفق فهـذا متروك للزمن ليحكم فيه .

● لماذا تختفي الشخصية المحورية من مسرحياتك ؟

ـ ان الشخصية الرئيسية في مسرحي عادة هي المجموع .. اعني القرية .. لقد اختفى من عصرنا البطل الرومانسي الفرد الذي يتصدى ليقف امام القدر وجها لوجه .. وبات علـى المجتمع ان يواجه قدره بنفسه .

● ما مدى اقتراب او ابتعاد مسرحك من مسرح الفكرة ؟

ـ ان وراء كل مسرحية فكرة .. ولكني لا اكتب مسرح افكار فالبطل في مسرحي هو الانسان بفكره الخاص لا الفكر الذي يحمله انسان .

● يؤرقك ـ كما اعلم ـ البحث عن شكل خاص للمسرح المصري.. ما ابعاد تجربتك مع الشكل ؟

ـ كل مسرحياتي فيما عدا مسرحيات الفصل الواحد صيغت في الشكل التقليدي .. ولكنني حاولت ان اصل الى شكل مصري خالص في « ليالي الحصاد » فلجأت الى السامر ولكني لم انقل تجربة السامر كاملة بل استفدت منها واقمت عليها بناء خاصا .. جـاء فـي النهاية مركبا وان كان هذا البناء قد ساعد ابطال المسرحية علـى ان يواجهوا انفسهم عارية ويتكشفوا حقيقتهم غير انه باعد بينها وبين المتفرج الى حد ما بسبب ما عودنا عليه جمهورنا من عادات مسرحية .. ولا زلت حتى اليوم ابحث عن الشكل الذي أودعه عملي الجديد . واتفادى فيه عيوب التكنيك التي ظهرت في مسرحية « ليالي الحصاد » .

● هل تخرج مسرحياتك بالصورة التي تراها بها في خيالك وانت تنشئها أول مرة ؟

ـ يتفاوت الامر .. ولكن بعض المسرحيات تأتي متفقة مع تصوري لها الى حد كبير .

● الا تفكر ـ او تحلم ـ بالتفرغ تماما للكتابة وصناعة الادب ؟

ـ لا .. ولكني ارجو ان املك حرية الحركة حيث اجـد الوقت للكتابة حينما يكون هناك ما اكتبه .. ولا اخفيك ان احتراف الادب في بلادنا لا يكفل الخبز للفنان . هذا فضلا عن انني اتفادى جعـل الادب وسيلة حياة حتى لا يتحول الى سلعة وانحول انا الى تاجر .

● هل تفرق بين مسرحياتك الطويلـة والمسرحيات ذات الفصل الواحد ؟

ـ لا .. ولكن مسرحية الفصل الواحد لم تستقر بعد في مسرحنا ولم تكون جمهورها وهذا بطبيعته ينعكس علي في احساسي بأهمية مـا اكتب من مسرحيات طويلة او قصيرة .

● ما الشكل الذي ترجو ان يكون عليه مسرحنا المعاصر ؟

ـ ان يكون مسرحا مصريا خالصا يحمل القضايـا العربية فـي صدق ويصل بها الى العالمية . مسرحا يربط الفكـر العربي بالفكـر الانساني المعاصر .

● هل وجدت نفسك ـ اخيرا ـ في هذه الرحلة مع الفن ؟

ـ ليس بعد .. فما زلت اعاني نفس القلق الذي بـدأ مـع عملي الاول .. ويبدو ان القلق اصبح جزءا من طبيعتي .. بـل انه طبيعتي نفسها .. ولهذا ولان طموحي لا يحد فأني اشك في انـي سأجد نفسي يوما مـا .

... ...

... ...

وبعد .. فهذه رحلة في عالم ذلك الفنان القلـق محمود دياب .. عالم صاحب « الزوبعة » الذي لم يعثر على نفسه بعد . تـرى .. اي انسان وفنان هو ؟.. لقد كتب في مذكراته يوم الاحد ١٨ اكتوبر عـام ١٩٦٤ هذه الكلمات التي تعبر عنه بصدق .. « انتهيت اليوم من كتابة « الزوبعة ».. وكالعادة احس بالفتور نحوها.. انني اخشى الا تمر الى خشبة المسرح .. فلننتظر .. انها تحمل فكرة .. ولقد بذلت فيها جهدا ارجو الا يضيع هباء .. الساعة الان الثانية صباحا وانا احس بارهاق شديد لا ادري له سببا .. هناك موسيقى جميلة تنبعث من الراديو .. تجعلني احس بحاجتي الى امرأة .. الى رأس امرأة يجد راحته علـى كتفي .. يحدق في وجهي في صمت ويبتسم .. نعم .. يبتسم » .

**محمد بركات**


صدر اليوم :

**نحـو استراتيجية عربية جديدة**

بقلـم :

**اكرم ديري  المقدم الهيثم الايوبي**

يقيم هذا الكتاب الاستراتيجيات الاسرائيليـة والعربيـة مـن ١٩٤٨ الى الان ، ويرسم الخطـوط العريضة لانشاء استراتيجيـة عربية جديدة للثوار العرب الذين سيخوضون الحرب القادمة ، مع الاهتمام بدور الاقتصاد والسياسة والاجتماع في الحرب الشاملة .

**دار الطليعة ، ص. ب. ١٨١٣ بيروت**